

مقاربة نفسية اجتماعية فنية لشعر الفرزدق

كلية التربية الأساسية / جامعة ديالى
كلية التربية الأساسية / جامعة ديالى

م.م. ثاير فالح علي
م.م. انعام منذر

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين واصحابه اجمعين .
خلف شعراء العربية ، في مختلف عصورهم ، تراثاً شعرياً ضخماً ، وثروة ادبية طائلة ، تمثل – ولا شك – معيناً للدرس والتحليل ليس ينضب إن ذلك التراث ، على الرغم مما احيط به من عناية واستأثر به من اهتمام ، لدى النقاد والباحثين العرب – قدماء ومعاصرين – في الكثير من الدراسات والاعمال التي تدخل تحت طائلة الجهود النقدية ؛ لم تزل به ، على الرغم من ذلك كله ، حاجة فعليهم يد من الدراسة والبحث ؛ لأن تلك الجهود والأعمال ، وفيها الجادة والرصينة ولا سيما عند النقاد المعاصرين ، لاتكافئ ذلك التراث ولا تسير على خطى موازية له . من اجل ذلك انصرفت العناية في هذا البحث صوب هذا التراث ، ووقع الاختيار على شعر الفرزدق منه لاقاء حمة من الضوء عليه من أجل دراسته مستفيدين في ذلك من طائفة من المناهج النقدية الحديثة هي المنهج النفسي والمنهج الاجتماعي والمنهج الفني . لقد كان الجانب النفسي مفتاحاً لمعالجة جوانب مهمة من نصوص الفرزدق ولا سيما في حالات الارتجال والـ هو وفي مواضع الهجاء ، وما إلى ذلك ، وبسبب من مكانته الاجتماعية كان للبيئة المحيطة به والتقاليد السائدة فيها أثر جلي في شعره يتلمسه بوضوح من يتصدى لشعره بالفحص والتحليل وعند ذلك يكون مهياً للدراسة إلى المستويات الفنية في نصوصه بما تكفله آليات المنهج الفني التحليلي لذلك كانت صورة هذا البحث على وفق هذا النحو : يبدأ بمقدمة يليها مدخل

أولاً : المنهج النفسي

ثانياً : المنهج الاجتماعي

ثالثاً : المنهج الفني

والله ولي التوفيق

مدخل :-

هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقاب بن سفيان بن دارم بن مجاشع ، عرف بالفرزدق . ولد في اسرة تمتعت بنفوذ كبير في تميم في زمن خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وجعله صاحب كتاب فحول الشعراء في الطبقة الاسلامية الاولى^(١) .
حده شعره باهتمام النقاد القدماء وتوزعت آراؤهم النقدية فيه بين المقياس الذوقي وكثرة الشعر وشرف المعنى وبلاغة اللفظ وفصاحته وصحة الطبع والبعد عن الاستكراه حتى جاء نقدهم تأثرياً^(٢) .

^١ ين ر : طبقات فحول الشعراء : ٢٩٧ والحيوان : ٢٢٦/٦ والشعر والشعراء : ٤٧١/١ .

^٢ ين ر على سبيل المثال : فحوله الشعراء : ٩ وطبقات فحول الشعراء : ٢٩٨ .

والبيان والتبيين : ٨٣/٤ ونقد الشعر : ٢٤ - ٤٨ .

اما العصر الحديث فقد تغيرت فيه الحساسية الادبية وطراً تبدل عميق على الاستعداد العقلي للفارئ والاديب وعلى حاجاتهم ومشاربهما ، بل ان الانقلاب شمل موضوع الادب وهدفه العام ^(١) ، واخذ النقد الحديث يرتبط بعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم اللغة ، وعد النقد شكلاً من الاشكال الجوهرية لبحث شامل واسع عن الانسان ^(٢) .

أولاً : المنهج النفسي :-

يبحث هذا المنهج في الاثر وعن تداعي الافكار اللاإرادية تحت بنيات النص الارادية ^(٣) .

استوقفت النقاد عند دراسة شخصية الفرزدق ظواهر عدة منها التهور واللامبالاة ، ويرى احدهم ان الشاعر مؤهل لوقوف تلك المواقف لكونه ينحدر من اسرة عريقة اورثته تلك الصفات ، ^(٤) بيد ان كتب التراث تحدثنا عن مواقف للشاعر تنم على دراية وفهم لما يريد ان يقوله مستنداً الى انتمائه القبلي ومن ذلك قصيدته في مدح الامام علي بن الحسين (عليهما السلام) التي مطلعها :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم ^(٥)
ومثله هذا لا عجب وال هو بنفسه كقوله :

رأت منقراً سوداً قصاراً وابصرت
واعيب ما في المنقرية انها
ومقدرته على إغراء النساء قائلاً :

فجاءت بأسباب طوال واشرقت
اخذت باطراف الحبال ، وانما
فقلت ارفعا الاسباب لا يشعروا بنا
قسيمه ذي زور مخوف تراتره
على الله من عوص الامور مياسره
ووليت في اعجاز ليل ابادره ^(٦)

ان ربوز هذه الـ واهر في شعر الفرزدق مردها الى حالة الكبت اللاشعوري التي كانت تكمن في نفسه وسرعان ما تسلل في ثنايا شعره ويُرَجَّح انه كان مكروهاً بين النساء ، الامر الذي جعل منه شخصاً اقتحامياً وانتقامياً حيثما يكتب عن العشق وبطولاته فيه لا يعترف بالتودد والتذلل للمرأة التي يحب . ويذكر انه كان يتصف بقصر القامة وشدة السمرة ، وبدت على وجهه ندب اشبه ما تكون بأثار الجدري فكيف تدبر اليه النساء وتراه كالهلال ، وهل إن المعجبات كن يتقاطرن عليه حقاً ؟ وقد دفع هذا بعض النقاد الى ان يرى ان لفرزدق الرغبة في الاستحواذ القسري التي كانتا تعج بها نفسه تجاه المرأة ^(٧) .

ولو تأملنا تراث العرب الشعري لوجدنا ان هناك غير واحد من الشعراء الذين سبقوا الفرزدق ، ممن تناولوا المرأة في قصائدهم وذكروا فيها حرصهم على التلذذ الحسي ومن

^١ ين ر : الاتجاهات الادبية في القرن العشرين : ٧ .

^٢ ين ر : اتجاهات النقد الادبي المعاصر : ١٣٧ .

^٣ ين ر : اتجاهات النقد الادبي المعاصر : ١٣٧ .

^٤ ين ر : التطور والتجديد : ١٤٤ - ١٤٥ .

^٥ - الديوان : ٥١١ .

^٦ - الديوان : ٣٩٦ .

^٧ - الديوان : ١٨٨ .

^٨ ين ر : الفرزدق بين الله والبليس : ١٣١ - ١٣٢ .

يبينهن المتدجات ، ولذا سار الشاعر على خطى سابقيه من الشعراء واتباع منهجهم في هذا المجال^(١) .

وكذلك نستنتج امرين أحدهما . التجربة النفسية والعاطفية التي يعيشها الشاعر والمعاناة التي تختلج داخل نفسه فيبثها في ثنايا شعره ، والاخر يتعلق بما يصطليح عليه لدى النقاد القدامى بالكذب الفني وهو ما يحصل عن وعي منه ، وبدورنا نرجح قضية (الكذب الفني) في هذا المجال وخصوصاً عندما يتحدث الفرزدق عن المرأة لسببين احدهما مكانة الشاعر في قومه إذ لا يمكنه الاتيان بتصريف يتنافى مع اعراف القبيلة ، وحالة الاشرار والابداع لديه ، ولو عرجنا على العصر الحديث ودرسنا ، على سبيل المثال ، شعر محمد سعيد الحويبي الذي عاش في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين^(٢) . لوجدنا ما يعضد رأينا المذكور انفاً اذ كان فقيهاً ومرجعاً دينياً وثائراً ومجاهداً ، ومع كذا يحم ديوانه بذكر الخمره واوصافها وباريقها وسفاتها وندمائها ، وعرف الشاعر بانه لم يعرف الخمره ولم يتناولها في حياته ، ويدلنا هذا على : ابداع الشاعر ، وسيره على خطى الاقدمين .

وتناول النقاد حالة الاضطراب والقلق لدى الشاعر الفرزدق وردوا ذلك الى تمسكه بالذات وحب الانا فالحياء عنده " لا تقوم بوقفه على مشارف العدم " والبطولة عنده هي التباهي والتفوق لا ان تؤدي به الى الهلاك ولا تشمل الثبات على المبادئ وعلى هذا الاساس لا يمكن الا ان يكون جباناً^(٣) .

ومن خلال تتبعنا لحياء الفرزدق وسيرته نجد له مواقف شجاعة وحكيمة تنم على اعتداده بنفسه وقومه يقدم فيها على مقارعة السلاطين ، فقد وقف الفرزدق موقفه الشديد مع الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك (ت ٩٦ - ٩٩ هـ) اذ افتخر بنفسه قائلاً :

ما حَمَلت ناقةً من سوقة رجلاً مثلي اذا الريحُ لفتني على الكور

ورفض الفرزدق ان يكمل قصيدته وهو واقف^(٤) .

وأما هجاء الفرزدق فقد اسنده بعض النقاد الى عوامل نفسية منها الرغبة العارمة في ايداء الاخرين^(٥) . ويُردّد هذا الرأي بأنه ايغال في وصف هجاء الفرزدق على هذا النحو ، لان الهجاء المتبادل بينه وبين غيره من الشعراء لم يكن يتعدى الشتائم .

ثانياً : المنهج الاجتماعي :-

ان شعر الفرزدق مرّ بمرحلتين ، ففي بدايته كان سهلاً واضحاً خالياً من العنف يساير طبيعة الشاعر البدوية عندما كان " شاباً نشيطاً يحس من نفسه القوة والنشاط ويرى من خصومه العج عن مجاراته في قومه ونشاطه ، فهو شديد الاعجاب بشخصيته " ، وان الهجاء في شبابه كان نوعاً من العبث ، ومنه هجاؤه لبني فقيم قائلاً :

^١ ين : ديوان امرئ القيس .

^٢ ين : ديوان محمد سعيد الحويبي / الخمريات .

^٣ ين : الفرزدق بين الله وابليس : ١٣٠ - ١٣٢ .

^٤ - الديوان : ١٨٩ - ١٩٠ وقصيدته في مدح علي بن الحسين (عليهما السلام) : ٥١١ - ٥١٤ .

^٥ ين : الفرزدق بين الله وابليس : ٢١ .

^٦ - من تاريخ الادب العربي : ٦٤٤ - ٦٤٥ .

وَأَبَ الْوَفْدُ وَفْدُ بَنِي فُقَيْمٍ بِالْأُمِّ مَا تَوُوبُ بِهِ الْوُفُودُ^(١)

غير ان مرحلة اخرى مر بها شعر الشاعر بدا فيها نوع من الغلظة والانجراف الغريب ، وكان الحد الفاصل بين هاتين المرحلتين محنته مع زياد بن ابيه التي فرّ اثرها الى المدينة^(٢) وهو ما يفسر قوة السلطة انذاك بحيث ان قبيلته لم تتمكن من توفير الحماية له اذ ان الشاعر التجأ مرتين الى المدينة اتقاء بطش الامير ، وهذا لا يعني ان علاقة الشاعر بالقبيلة كانت ضعيفة ، فهو ينتمي الى بيت شريف ، مكنه من ان يتسلم الرياسة بعد موت ابيه . وما ان مات زياد بن ابيه حتى عاد الفرزدق الى البصرة ليندمج مع قومه ويبدأ الطور الثاني ، الذي تولد فيه الشعر الاجتماعي لديه ، اذ اخذت حياة القبيلة ومصيرها تهيمن على حياته وشعره^(٣) واندجت في نفسه شخصية الـ عيم الشاعر ، وكان اما مادحاً او معارضاً للولاة ، كقوله للحجاج الذي يستشف منه معارضة مغلفة لهذا الامير فقال :

وان لو ركبتُ الريح ثم طلبتني

لكنت كشيء ادركته مقادره

فلم ار شيئاً غير اقبال ناقتي

اليك وامري قد تعيت مصادره^(٤)

وكان الفرزدق محتاطاً للامور فأظهر الطاعة للولاة في وقت او حين نجده لا يخضع للسلطان البعيد (الخليفة) بدليل هجائه لمعاوية بن ابي سفيان لاحتجازه ارث الحتات قائلاً :

فما بال ميراث الحتات اكلته

وميراث حرب جامد لك ذائبه^(٥)

وتعليقاً على الرأي المشار اليه انفاً والمتضمن اندماج الشاعر في قبيلته وافناء شخصيته فيها ، نجد فيه شيئاً من المغالاة فالـ (أنا) عند الشاعر لا يمكن ان تختفي ومهما بلغ من تفانيه في تقديم قومه على ذاته ، فإن الـ (انا) عادة ما تتغلب عليه ، فيكون اقرب الى ذاته من قومه ، وقد برزت هذه الـ ااهرة في شعره كقوله :

اني اتاني كتاب كنت تابعه

إليّ منك ، ولم اقبل مع العير

ما حملت ناقة من سوقة رجلاً

مثلي اذا الريح لفتني على الكور^(٦)

وقوله :

اغثني بكنهي فيني ار ومقيلي

فإني كريم المشرقين وشاعره^(٧)

ويقف النقاد في مناقشتهم للجانب الاجتماعي في شعر الفرزدق وموازنته مع جرير على امرين ، احدهما : أي الشعارين كان شعره افرحاً وأكثر سيرة بين الناس ، الفرزدق ام جرير ، والآخر : تعليل ذلك والسبيل اليه ، اذ يشير أصحاب هذا الرأي الى ان الفرزدق التزم بمذهب المدرسة العراقية التي اعتمدت على نقل الشعر الجاهلي وراويته وتحقيقه وكان هذا مدعاة لان يتخلف شعر الفرزدق عن السيرورة بين الناس ، في حين وجد شعر جرير لشعره رواجاً ملحوظاً . برأ لتقاربه مع المدرسة الحجازية العاطفية الشعبية ، التي ازدهرت لانها تلبي ما يطلبه الناس من شعر يلبي خلجات نفوسهم^(٨) .

١ - الديوان : ٦٤٣ .

٢ - من تاريخ الادب العربي : ٦٤٣ .

٣ - المصدر نفسه : ٦٤٥ - ٦٤٦ .

٤ - الديوان : ٢٢٢ .

٥ - الديوان : ٢٢٢ .

٦ - الديوان : ١٩١ .

٧ - الديوان : ٢٢١ .

٨ - ينظر : تاريخ الادب العربي ، الفاخوري : ٢٨٥ - ٢٨٧ .

وفي مجال السياسة العامة ، مدح الفرزدق الامويين ، واعلى حقهم في الخلافة وأكد دوامها لهم ، بقوله :

أما الوليد فان الله اورثه بعلمه فيه ملكاً ثابت الدعم
خلافة لم تكن غصباً مشورتها ارسى قواعدها الرحمن ذو النعم (١)
ويشار الى ثورية الفرزدق ومنها ما جاء في قصيدته في مدح الوليد بن عبد الملك ومطلعها :
كم من مناد ، والشريفان دونه الى الله تشكى والوليد مفقره (٢)
ومن يتأمل هذه القصيدة يجد قائلها يأتي على الجوع والقحل فيجعلها ينبوعاً للشعر لا يمكن
ان يصفه غير الثوار ، بيد ان هذه الثورية لم يفهمها اصحاب العروش من ذوي الذوق
المتترف ، فلم يألفوا من لغة الفرزدق الا ما يهدد طراوته (٣) .
ويسجل الفرزدق انتصاراً يقرب من انتصاره السالف ، فقد رد على الذين ادانوا قوله :
الى ملك ما أمه من محارب أبوها ولا كانت كليب تصاهره (٤)
اذ عاب عبد الله بن ابي اسحاق الحضرمي على الفرزدق في هذا البيت ، فهجاه الفرزدق
بقوله :

فلو كان عبد الله مولياً هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا (٥)
اذ ان (موالياً) سفهت ابن الحضرمي وجعلته مولى لمواليهم لا لحضرموت (٦) . والجدير
بالذكر ان هذه الصفات التي حملها الفرزدق لها ابعاد تاريخية وفكرية ترسخت في نفسه
وتركت اثرأ واضحاً في تصرفاته واذا ما ذكرناه هو الثناء ؟ على الفرزدق وقد ين ر اليه في
اطار مختلف تماماً ، في اطار المنهج الاجتماعي اذ وقف النقد الحديث ليحمل الفرزدق عبء
جانب من جوانب الاسفاف بالقيم الاجتماعية من خلال هجائه المقذع .
وتعليل ذلك ان الواقع الاجتماعي الذي ساد عصر الفرزدق قد شهد اختلاط العرب
بالعجم والبدو بالحضر ، وهو عامل له اثره في الاوضاع الاجتماعية ، فضلاً عن
الاضطراب الذي سبب انتشار الاحاد السياسية وضعف الوازع الديني و " ان ما فعله
الفرزدق هو الانحطاط بعينه فلم يرع حرمة الموت في رده على قصيدة جرير في رثاء
زوجته " (٧) .

فقال :

كانت مناقفة الحياة وموتها خدي علانية عليك وعار
فلئن بكيت على الاتان لقد بكى ج عاً ، غداة فراقها ، الاعيار (٨)
وما توبة الفرزدق التي اذاعها في بعض اشعاره الا احساس منه بأن بقاءه سادراً في غيبه لا
يتوافق مع نسبه الرفيع زيادة على الوازع الديني الذي فرض عليه ان يقيد نفسه ويحفظ

١ - الديوان : ٥٣٨ .
٢ - الديوان : ٢١٩ - ٢٢٢ .
٣ - الشعر واللغة : ٧٢ .
٤ - الديوان : ٢٢٢ .
٥ - الشعر والشعراء : ٢٥ لم يرد البيت في الديوان .
٦ - ر : الشعر واللغة : ٧٢ .
٧ - تاريخ الادب العربي ، ال : يات : ١١٠ - ١١١ .
٨ - الديوان : ٣٢٥ .

القرآن الكريم^(١) . و خلاصة القول ان الفرزدق اسير عصره ، فقد تأثر بالتقلبات الاجتماعية والسياسية وما اندرج تحت هذين العاملين .

ثالثاً : المنهج التحليلي او الفني :-

ثمة نمطان من القصائد اشتمل عليهما شعر الفرزدق ، الاول : تقوم القصائد فيه على عنصر المغايرة بين مقدمة القصيدة والغرض الرئيس ، كأن يجمع بين الوصف والمدح ، او الغل والمديح .

والاخر : تعتمد القصائد عنصر التجانس بين مقدمة القصيدة والغرض الرئيس وتكون المقدمة منسجمة مع الغرض الرئيس الذي اراد الشاعر الخوض فيه .

فمن النمط الاول اثبتته في مدح الخليفة عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) التي تندرج في ضمن اطار المدح التكسبي الصريح غير ان الشاعر بث من خلال تفاصيلها ما يمنحها صفة النص المدحي المتعدد الموضوعات ومطلعها :

زارت سكيئة اطلاقاً اناخ بهم شفاعة النوم للعنين والسهراً^(٢)

تشتمل القصيدة على ستة واربعين بيتاً وتقع في خمسة اقسام رئيسة ، ابتدأها بمقطع الطيف في الابيات من (٤-١) وبعدها تأتي المرحلة الثانية التي يصف فيها حالة الجذب الذي اصاب ارض تميم في الابيات من (٥-٩) وينتقل الشاعر الى حوار بينه وبين امرأة مجهولة لتخفف عنه ولكن هذا لا يجدي نفعاً الا بالرحيل الى الممدوح في الابيات من (١٠-١٦) اما المرحلة الرابعة فان فيها وصفاً للرحلة في الابيات من (١٧-٢٦) وخصصت المرحلة الخامسة بكرم الممدوح ونبل اخلاقه في الابيات من (٢٧-٤٦) .

ان مراحل التهيئة الاولى للقصيدة (الطيف ، وصف الجذب ، الحوار ، وصف الرحلة) تقع في جانبين فني وموضوعي ، والفني تشتمل عليه الافتتاحية للقصيدة (الطيف) اما بقية المراحل فتندرج تحت الجانب الموضوعي ، وهذه ظاهرة تنطبق على سائر قصائد الفرزدق متعددة الموضوعات ، اذ ان الشاعر قلما يطول به النفس في مراحل التمهيد الفني ، الذي لا يقع في اطار التهيئة المباشرة لغرض القصيدة ، اما مراحل التهيئة الاخرى فتندرج في دائرة المعالجة الموضوعية للغرض الرئيس للقصيدة^(٣) .

على اننا نجد ارباكاً وعدم ترابط بين لوحات القصيدة فالشاعر يبدأ الطيف ثم ينتقل الى الممدوح في البيت (٥) ثم يذكر الجوع في الابيات من (٦-٩) بعدها يبدأ حواراً مع امرأة في الابيات من (١٠-١٣) بعدها يذكر الرحلة في البيتين (٤ و١٥) ثم ينتقل الى الممدوح في البيت (١٦) بعد يعود الى ذكر الرحلة في الابيات من (١٧-٢٦) ليعود لذكر الممدوح في الابيات من (٢٧-٤٦) ولعل هذا الارباك مرده الى الحالة النفسية المتعثرة لدى الشاعر . اذ لم يستطع ان يسلسل افكاره ولم يتسنى له ان يستخدم الترتيب المنطقي ، او سببه الرواة او جهل النساخ .

بيد ان هناك حالة نفسية انفعالية محددة اسهمت في صنع اطار شامل للقصيدة هي حالة (التكسب) لدى الشاعر ، والقصيدة من البحر (البسيط) الذي يعطيها الرصانة والقوة ،

^١ تاريخ الادب العربي ، ال : بات : ١١١-١١٢ .

^٢ - الديوان : ١٦٤-١٦٧ .

^٣ - نصوص من الشعر العربي : ٢٦٠ .

اما على صعيد الصورة الشعرية ، فقد ضح صوراً بيانية عديدة ولا سيما الاستعارة والتشبيه ، ولعل ابيات مقطع الجذب والقحل الذي حل بقومه ، كانت احفل المقاطع للصور الاستعارية المستمدة من مفردات البيئة والطبيعة المحيطة بالشاعر .
النمط الاخر :

القصيدة ذات النمط البنائي الموحد :

يتعاشش الشاعر مع الواقع وما يولده من افرازات تترك اثرها في انتاج نوع من البناء الفني ، يسلك الشاعر فيه الطريق المباشر ، فيتناول الغرض مغفلاً المقدمة بجميع انواعها ، اذ يهر " هذا النمط على صعيد التجربة في سيطرة نبض واحد وحالة انفعالية مفردة " (١) .

ويشير ابن رشيق القيرواني الى هذا النمط من الشعر بقوله " ومن الشعراء من لا يجعل لكلامه بسطاً من النسيب ، بل يهجم على ما يريد مفاحة ويتناوله مصافحة " (٢) .

وقصيدة الفرزدق في مدح علي بن الحسين (عليهما اسلام) التي مطلعها :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم (٣)

نجده يفتتحها بمقدمة دعائية احتواها البيت الاول . ومثلت بشطريها صفتين تضمنتا تداعيات الغرض الرئيس في ابراز الافضلية لشخص الممدوح والصفتان هما : (هذا الذي تعرف البطحاء وطأته) ، (والبيت يعرفه والحل والحرم) ، اما الغرض الرئيس فيمثل توسيعاً لهذين المعنيين اللذين اثبتهما الشاعر في دعائيه للمدوح ، ففي قوله في البيت (الثالث) من القصيدة :

هذا ابن فاطمة، ان كنت جاهله
بجده انبياء الله قد ختموا

يشير الى الصفة الثانية (بيت الله) ليفصح عن ان الممدوح يتصل بسلالة الانبياء ، ونجد صدى الصفة الثانية كذلك في البيت (١٣) من القصيدة بقوله :

يكاد يمسه عرفان راحته، ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

ونرى ظلال الصفة الاولى في البيت (١٠) في قوله :

اذا رآته قريش قال قائلها
الى مكارم هذا ينتهي الكرم

فالقصيد تصوير للخلافات السياسية القائمة بين الامويين والطلبيين وهي قصيدة من نمط القصائد التي شاع في نتاج بعض الشعراء ، اذ جاء بشكل صادق وطبيعي ، ولعل مرد ذلك الى المفاجأة الشعرية التي ألهبت وجدانه وأسالت طبيعته (٤) . وبعد استقرار النص وعلى الرغم من ان الغرض الرئيس واحد الا ان هناك ضعفاً في العلاقات التي تحقق الترابط بين الابيات ، ومن المعلوم ان تلك العلاقات تسهم في خدمة الغرض (المديح) وتعمل مجتمعة على اتمام الفضائل الخلقية ، اما عن طريقة (تراكم الصفات) او بانتهاء جانب (التفضيل) في تفضيل خصلتين هما اولاً (النسب الشريف العريق) وثانياً (الصفة الدينية) وتهر الصفات الاخرى بصيغة هامشية الا انها تسير باتجاه الممدوح ، وهذا يؤدي في احايين كثيرة الى بعثرة الابيات داخل النص الشعري فلا رابط بينهما سوى (الممدوح) الذي يحركه الشاعر في عدة اتجاهات مما يكون باستطاعتنا تقديم صفات وتأخير اخرى دون ان يحس

^١ - الرؤى المقنعة (نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي) البنية والرويا : ٤٨ .

^٢ - العمدة : ٢٣١ / ١ .

^٣ - الديوان : ٥١١ - ٥١٤ .

^٤ - ر : عصر بني امية ، نماذج شعرية محللة : ٨٠ والرائد في الادب العربي : ٢٢٦ - ٢٣٢ .

المتلقي بهذا التغيير ، بل قد يؤدي هذا التغيير الى نوع من التماسك داخل النص ، واذا قمنا بنقل طائفة من الابيات من مواضعها الى مواضع اخرى فلا يحدث خلل في انسياب الافكار ، وذلك لان الشاعر استخدم في تأليفه للنص الشعري الاسلوب التراكمي في بناء المدحة .

فلو اخذنا البيتين (١٨ و ١٩) اللذين ذكر فيهما نسب الممدوح :

من جدّه دان فضل الانبياء له
وفضل امته دانته لها الامم

مشتقة من رسول الله نبعته
طابت مغارسه والخيم والشيم

ووضعناهما مكان البيتين (٤،٥) لا صبحت الصورة ذات ابعاد اوسع ، ولو أخذنا البيت (٢٧) :

يستدفع السوء والبلوى بحبهم
ويستاد به الاحسان والنعيم

لنضعه في مكان البيت (٢٢) لكان افضل .

ومع اعتماد الشاعر على تراكم الصفات داخل القصيدة فلا مانع من اتصال الابيات معنوياً، وذلك لانها تدور حول موضوع واحد ، وقد يكون الارتجال والحالة الانفعالية الشعورية التي مر بها الشاعر سبب هذا الارتباك وقلة الغوص في المعاني^(١) . ودرس النقاد الوصف عند الفرزدق عندما تناولوا لوحيتين في وصف الذئب ، ففي الاولى يقول :

وليلة بتنا بالغريين ضافنا
على الـ ادم مشوق الذراعين اطلس

تلمسنا حتى اتانا ولم يد ل
لـ دن فطمته أمه يتلمس

ولو انه اذ جاءنا كان دانيا
لالبسته لو أنه كان يلبس

ولكن تتحى جنبه بعد ما دنا
فكان كقيد الرمح بل هو انفس

فقاسمته نصفين بين وبينه بقية زادي والركايب نعس

وكان ابن ليلي اذ قرى الذئب زاده
على طارق لا لماء لا يتعيس^(٢)

هذه المقطوعة جاءت بصورة عفوية ، ويمثل هذا الضرب من الشعر مرحلة نقاء البلاغة العربية ، قبل ان تخضع لاصول المنطق والفلسفة^(٣)

والمقطوعة خطاب موجه من الشاعر الى متلوّ همي ، وتوافرت فيها وحدة الـ مان والمكان والشخوص الا انها افتقرت الى الحوار والصراع ، وهذه المقطوعة تخالف خشونة الفاظ الفرزدق التي وردت في اغلب قصائده ، فانسابت بغنائية و عفوية .

واما اللوحة الثانية فهي قطعة شعرية جاءت مقدمة لقصيدة طويلة فقال :

واطلس عال ، وما كان صاحباً
دعوت بناري موهناً فأتاني

فلما دنا قلت ادن دونك ، انني
وايالك في زادي لمشتركان

فبت اسوي الـ اد بيني وبينه،
على ضوء نار مرة ودخان

فقلت له لما تكشر ضاحكاً
وقائم سيفي من يدي بـ مكان

تعش فان واثقتني لا تخونني،
نكن مثل من ياذنب يصطحبان

وانت امرؤ ياذنب والغدر كنتما
اخيين كانا ارضعا بلبان

ولو غيرنا نهبت تلتمس القرى
اتاك بسهم او شباه سنان

وكلُّ رفيقي كل رحل، وان هما
تعاطى القنا قوماهما ، اخوان^(١)

^١ ين ر : دراسات في النص الشعري ، د. عبده بدوي : ٢٤١ .

^٢ - الديوان : ١٣٦ .

^٣ - مجلة المورد (قراءة عصرية في ادب الذئب) ع ١ ص ٩٤ .

اشتملت هذه المقطوعة على الوحدة الـ مانية والمكانية والحوار بين الشخصيات وهي دعوة من الفرزدق موجهة الى ذئب لما شاركته طعامه ، وتبدو الانفعالات واضحة ، فالشاعر حذر من تكشيرة الذئب ، وكان لسان حاله يخاطبه ويقول له " اذهب الى سبيك ايها الذئب فاني اتحداك ان تجد مثل ضيافتي لك وحسن لقائي بك " (١) .
الإشارة الى الوحدة الفنية في المقطوعة الثانية واعتمادها على الحوار والصراع الذي اختفى من المقطوعة التي سبقتها .

المصادر والمراجع

- ١- الاتجاهات الادبية في القرن العشرين ، البيريس ، ترجمة جورج طرابيشي ، منشورات عويدان ، بيروت ، لبنان ، ط١٥ - حزيران ١٩٦٥ م .
- ٢- اتجاهات النقد الادبي الفرنسي المعاصر ، نهاد التكرلي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، العراق ، ١٩٧٩ م .
- ٣- البيان والتبيين ، الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٦٠ م .

١ - الديوان : ٦٢٨ .

٢ - مجلة المورد (قراءة عصرية في ادب الذئب ع ١ ص ٩٥) .

- ٤- تاريخ الادب العربي ، احمد حسن الـ يات ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط٨ ، ١٩٤٢ م .
- ٥- تاريخ الادب العربي ، حنا الفاخوري ، المطبعة البولسية ، بيروت ، دبت .
- ٦- تاريخ الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، مكتبة الخانجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٦٧ م .
- ٧- التطور والتجديد في الشعر الاموي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٦ ، ١٩٧٧ م .
- ٨- دراسات في النص الشعري عصر صدر الاسلام وبنو امية ، عبده بدوي ، منشورات ذات السلال ، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٧ م .
- ٩- ديوان امرئ القيس ، تح: ابو بكر عاصم بن العربي (ت ٥٢١ هـ) ، المطبعة الخيرية ، ١٣٠٧ هـ .
- ١٠- ديوان محمد سعيد الحبوبي ، تح : محمد الحبوبي ، دار التربية ، بغداد ، ١٩٨٣ م .
- ١١- الرائد في الادب العربي انعام الجندي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦ م .
- ١٢- الرؤى المقنعة (نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي) البنية والرؤيا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ م .
- ١٣- شرح ديوان الفرزدق ، عبد الله بن اسماعيل الصاوي ، مطبعة الصاوي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٣٦ م .
- ١٤- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) تح : احمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦١ م .
- ١٥- الشعر واللغة ، لطفي عبد البديع ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .
- ١٦- طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١ هـ) ، تح : محمود محمد شاكر ، دارالمعارف للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٥٢ م .
- ١٧- عصر بني أمية ، جورج غريب (نماذج شعر محللة) ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٠ م .
- ١٨- العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٩٧٢ م .
- ١٩- فحولة الشعراء ، الاصمعي (ت ٢١٦ هـ) ، تح : ش ، توري ، تقديم صلاح الدين المنجد ، دار الكتب المصرية ، ط١ ، ١٩٧١ م .
- ٢٠- الفرزدق بين الله وابليس ، خليل شرف الدين ، دار الهلال ، بيروت ، ١٩٩٦ م .
- ٢١- من تاريخ الادب ، طه حسين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٥ م .
- ٢٢- نصوص من الشعر العربي في صدر الاسلام والعصر الاموي ، نوري حمود القيسي ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٤ م .
- ٢٣- نقد الشعر ، قدامه بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) تح : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

المجلات

مجلة المورد (قراءة عصرية في ادب الذئب) ، دجناد غـ وان ، ١٤ . ربيع عام ١٩٧٩ م .